ولا يقدرون ان يتكلموا هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيمة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما عاينوا في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني ان من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية فقد خسر لانه آثر الفاني على الباقي وما كانوا مهتدين يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار واما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريك هذا الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله فالينا مرجعهم يعني في الآخرة وفيه دليل على ان الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد اراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما اعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه تعالى شاهد على فعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز وجل ولكل امة رسول لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع اممهم كذلك فقال تعالى ولكل امة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني بعثوا اليهم يدعوهم الى الله والى طاعته والايمان به فاذا جاء رسولهم وبلغهم ما ارسل به اليهم فكذبه قوم وصدقه آخرون قضي بينهم بالقسط يعني حكم بينهم بالعدل فقضي بينهم بالقسط وفي هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما ارسل به اليهم وفي وقت هذا القضاء والحكم قولان احدهما انه في الدنيا وذلك انه لما ارسل لكل امة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا على رسولهم وخالفوا امره اهم الله فقضى بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسوله والمومنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجي الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المومن والكافر والطائع والعاصي جي بالرسل ليشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني من جزاء اعمالهم شيا ولكن يجازى كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يواخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم ويقولون يعني هولاء الكفار متى هذا الوعد يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب ان كنتم صادقين يعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل امة قالت لرسولها كذلك او يكون المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك يا محمد فذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم قل اي قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا يعني لا املك لنفسي دفع ضر وجلب نفع ولا اقدر على ذلك الا ما شاء الله يعني الا ما اقدرني عليه واملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليها الا الله فيتعين الوقت الى الله بحسب مشيته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشيا فانها تحدث لا محالة وهو قوله تعالى لكل امة اجل اي مدة مضروبة ووقت معين اذا جاء اجلهم يعني اذا انقضت مدة اعمارهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعني لا يتاخرون عن ذلك الوقت الاجل الذي اجلهم ولا يتقدمون عنه قل اي قل لهم يا محمد لهولاء المشركين من قومك ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان بالليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل او نهارا يعني في النهار ماذا يستعجل منه المجرمون يعني ما الذي يستعجل من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعني اي شي يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك اثم اذا ما وقع يعني اذا نزل العذاب ووقع آمنتم به يعني آمنتم به بعد نزول العذاب وهو وقت الياس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع الآن فيه اضمار تقديره يقال لهم الآن تومنون حين وقع العذاب وقد

كنتم

كنتم به تستعجلون يعني تكذيبا واستهزا ثم قيل للذين ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ثم قيل للذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم قوله تعالى ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يعني في الدنيا من الاعمال قوله تعالى ويستنبئونك احق هو يعني ويستخبرونك يا محمد احق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة قل اي وربي اي قل لهم يا محمد نعم وربي انه لحق يعني ان الذي اعدكم به لحق لا شك فيه وما انتم بمعجزين يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شي فقد فاته ولو ان لكل نفس ظلمت اي اشركت ما في الارض يعني من شي لافتدت به يعني يوم القيامة والافتدا هنا بذل ما ينجو به من العذاب الا انه لا ينفعه ولا يقبل منه واسروا الندامة يعني يوم القيمة وانما جا بلفظ الماضي والقيمة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل مستقبلها كالماضي والاسرار يعني الاخفا ويعني الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله واسروا الندامة وقال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا يعني اخفى الرؤسا الندامة من الضعفا والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم لما راوا العذاب يعني حين عاينوا العذاب وابصروه وقضي بينهم بالقسط يعني وحكم بينهم بالعدل وقيل بين الرؤسا والاتباع وقيل بين الكفار والاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيوخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله عز وجل وهم لا يظلمون يعني الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب الظالم الا ان لله ما في السموات والارض يعني ان كل شي في السموات والارض ملك له لا يشركه فيه غيره وليس للكافر شي يفتدي به من عذاب الله يوم القيمة لان الاشيا كلها لله وهو ايضا ملك لله فكيف يفتدي بمن هو مملوك لغيره بشي لا يملكه الا ان وعد الله حق يعني ما وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب للطائع وعقاب للعاصي حق لا شك فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني حقيقة ذلك هو يحيي ويميت يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحيا والاماتة لا يتعذر عليه شي مما اراد واليه ترجعون يعني بعد الموت للجزا قوله تعالى يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاتكم موعظة من ربكم يعني القران والوعظ زجر مقترن بتخويف قال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الانابة عما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقران داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق وشفا لما في الصدور يعني ان القران دوا وشفا لما في القلوب من دا الجهل وذلك لان دا الجهل اضر للقلب من دا المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقران يزيل هذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدوا والشفا لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لكون القلب فيه وهدى يعني وهو هدى من الضلالة ورحمة للمومنين يعني ونعمة على المومنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقران دون غيرهم قل بفضل الله وبرحمته الباء في بفضل الله متعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الآية على هذا يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم وشفا لما في الصدور بافضال الله عليكم ورحمته بكم واراد به الخبر لكم ثم قال تعالى فبذلك فليفرحوا اشارة بذلك الى التاويلين لان المراد بالموعظة والشفا القران فترك اللفظ واشار الى المعنى وقيل فبذلك اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطوع والانعام فليفرحوا قال الواحدي الفا في قوله فليفرحوا زائدة كقول الشاعر ۝ واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي ۝ الفا في قوله فاجزعي زائدة وقال صاحب الكشاف في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفا داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوها بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)